ISSN: 2710-8759/ EISSN: 2992-1376 | 2026/01/15 | مجلة أطراس07(01)، 647-664

تشظي الذّات بين تيه الصحراء وصراع الأنساق الثقافية في رواية (وادي الحناء) لـ (جميلة طلباوي)

The Fragmentation of the Self between the Desert Wilderness and the Conflict of Cultural Patterns in *Henna Valle* by Jamila Talabawi

رشيدة كلاع[1]*

[1]جامعة قسنطينة 1 الإخوة منتوري، الجزائر

تاريخ الاستلام : 2024/05/16 ؛ **تاريخ القبول** : 2025/08/23 ؛ **تاريخ النشر** : 2026/01/15

الملخص

حَملت الصحراء بُعداً وجدانياً في كثير من الأعمال الروائية الجزائرية، لِتتداخل مع ذات المبدع وتكون ملاذاً يبثه الروائي همومه، من هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة للكشف عن أهم الرموز التي تزخر بها الذّات الكاتبة على مستوى الواقع والذّاكرة في واحدة من الأعمال الروائية الجزائرية وهي: (وادي الحناء) لـ (جميلة طلباوي). إذ هدفت هذه الدراسة إلى البحث في الأنساق الثقافية في هذه الرواية، وقوفاً عند أبعاد الذّات وشغفها بالصحراء وعند أسرار التواصل بينهما، في رحلة بحثها عن هويتها ضمن استلاب نسقي يُعطي السيطرة للآخر/الذّكر، رغبة في التّحرر من سيطرة أنساق ظالمة لطالما كانت المرأة ضحيتها. اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي في تحليل النصوص لمُحاولة أستنطاق أنساقها المُتعددة، بحثاً على ما تحويه من مضامين خفية آثّرت الكاتبة الإشارة إليها رمزاً، وتوصل البحث إلى جملة من النتائج أهمها: جاء هذا العمل الأدبي استبطاناً وتكثيفاً لجملة من القضايا النسوية ومعالجتها عبر إبراز علاقة الذات بالآخر. فاستطاعت (جميلة طلباوي) بيان قُدرة الصحراء ذلك الفضاء المهّمش على كسر النَمط السائد ومُزاحمة المركز/المدينة، وكشفت عن عالم الزاوايا بأبعادها الصوفية ودورها المجتمعي ببيان أثرها الفاعل في الحياة الاجتماعية والدينية لمدينة تيمي ومكانة المرأة فيها. وأكّدت أيضا على تحكُّم العرف وكثير من الأفكار البالية في المجتمع التيماوي، ما جعل الحل الوحيد أمام الذّات الأنثوية هو التَّمرد على القهر المسلط عليها من المجتمع/الذَّات الذكورية.

الكلمات المفتاحية: صحراء، أنساق ثقافية، رواية، وادي الحناء، جميلة طلباوي.

Abstract

The desert carried a sentimental dimension in many Algerian novels, serving as a refuge for the novelist to express his worries. This study reveals the many symbols that abound in the writer's self at the levels of reality and memory in one Algerian work of fiction. Through research titled: The fragmentation of the self between the desert wilderness and the conflict of cultural patterns in the novel, Wadi Al-Henna, by Jamila Talabawi. This study aims to investigate the cultural patterns in this novel, focusing on the dimensions of the self and its passion for the desert, and on the secrets of communication between them. This study relied on a descriptive approach, analyzing texts to interrogate their multiple formats and identify the hidden contents they contain that the writer chose to point out symbolically. The research yielded several results, the most important of which are: Jamila Talabawi demonstrated the desert's, that marginalized space, ability to break the prevailing pattern and crowd out the center/city—revealing the world of zawiyas, their Sufi dimensions, and their societal role by demonstrating their practical impact on the social and religious life of the town of Timi, and the status of women in it. The control of customs and many outdated ideas in Timawi society, pushing the female self to rebel against society/the male self.

Keywords: Cultural patterns, fragmentation, desert, novel, Jamila Talabawi, Wadi Al-Henna

الاستشهاد بالمقال

كلاع رشيدة.(2026). تشظي الذّات بين تيه الصحراء وصراع الأنساق الثقافية في رواية (وادي الحناء) لـ (جميلة طلباوي). *مجلة أطراس*، 7(1)، 647-664. https://doi.org/10.70091/Atras/vol07no01.45

*Email: [1]rachidaklaa@yahoo.fr

Atras Journal/ 2025, published by the University of Saida, Dr. Moulay Tahar, Algeria
This is an Open Access Article under The CC BY-NC 4.0

مقدمة

لما كان العمل الروائي تجربة استقرت في ذهن الكاتب، وسكنت وجدانه بعد أن عاش تفاصيلها بشكل ما، فإنّ فعل الكتابة سيكون حالة استرجاع واستعادة لوقائعها وشخصياتها.

تبحث الكتابات السردية عبر مستوياتها التصويرية –وبتركيزها على الصحراء– في علاقات الإنسان ببداياته الشبيهة بهذا الفضاء الواسع. محاولة تحويل حال التكتّم عنده إلى إفصاح، من خلال البحث في ما يطغى عليها من طابوهات وكبت وحرمان. سعيا لخلخلة بعض الأنساق السلبية، والبحث عن بديل ضمن أنساق يطبعها التداخل والتعالق.

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في الأنساق الثقافية في رواية (وادي الحناء)، سعيا للوقوف على الأبعاد التي حملتها الذّات في علاقتها بالمكان/الصحراء، من خلال بحث موسوم: " تشظي الذّات بين تيه الصحراء وصراع الأنساق الثقافية في رواية (وادي الحناء) لـ (جميلة طلباوي)؛ بغية الكشف عن أسرار التواصل بينهما. وما حُمِّل به المكان من أنساق أسقطتها الذاّت في بحثها عن نظير موضوعي تبثُّه ذلك القهر والاستلاب الذي فرضه الآخر/ الذكر بسطوته.

شكل الفضاء نقطة ارتجاع تُشبع ظمأ الذّات إلى التّحرر من ربقة أنساق ظالمة، من خلال ذلك الامتداد والفراغ. وهو ما يطرح جملة من الأسئلة أهمها:

- كيف أثرت تغيرات المجتمع الصحراوي في النصوص الإبداعية الجزائرية؟
- هل أضافت تيمة الصحراء تنوعا للكتابة الروائية الجزائرية؟
- ما مدى نجاح الروائية في استثمار الأنساق الثقافية لتبيان التناقض الحاصل في المجتمع الجزائري في هذه الحقبة الزمنية؟
- ما مدى نجاح (جميلة طلباوي) في استثمار نبتة الحناء لفك شفرة المرأة/ بطلة الرواية؟

حظيت رواية (وادي الحناء) بجملة من الدراسات الأكاديمية، التي بحثت جوانب متعددة منها. نذكر منها: العنف الرمزي في رواية (وادي الحناء) للكاتبة (جميلة طلباوي)، بحثت هذه الدراسة في ما حواه المجتمع التِّيماوي من ممارسات ضد المرآة. فيما كان التركيز على الصحراء بوصفها فضاءً جامعا لعديد التناقضات مجالا لدراسة بعنوان: فضاء الصحراء في رواية (وادي الحنّاء) لـ (جميلة طلباوي). كما قابل النسق الفحولي صورة المرأة ضمن الرواية ذاتها في ما كان عنوانه: نسق الفحولة في رواية (وادي الحناء) للروائية (جميلة طلباوي). وصورة المرأة الصحراوية في (رواية وادي الحناء) لـسمية ابليله وفتيحة حمودي. فيما حاول البحث الموسوم: سيميائية الشخصية في رواية (واد الحناء) فك شفرة شخصيات الرواية، دراسة ما تضمنته من علامات.

ولعل أقرب الدراسات إلى بحثنا: تخييل الأنساق الثقافية في رواية (وادي الحناء) لـ (جميلة طلباوي) لعوادي يسمينة، والمرأة موؤودة حريتها مفقودة قراءة في رواية (واد الحناء) لـ حادي نورة. وإن اكتفت الأولى برصد الأنساق المتعددة داخل هذا النّص الروائي. أما الثانية فقد عملت على الكشف عن الحقوق المهضومة للمرأة داخل مجتمع ذكوري. أما بحثنا فسيعمل على الوقوف على علاقة التمازج والاتحاد بين الذّات والصحراء، التي كانت رجعا لآلام الذّات؛ حيث تم استقراء أثر الأنساق المتعددة في توسيع الهوة بين الذّات الأنثوية واالذّات الذكورية.

أصبحت الصحراء هذا الفضاء الواسع الممتد، واحدة من الأشكال الأدبية، التي تُمارس بعوالمها المسكونة بالتّيه، فعل الغواية والجذب للمبدعين. استنطاقا لصمتها وسكونها، وتحويلهما إلى علامات تبوح بمعان مضمرة، مبثوثة ضمن أنساقها المختلفة.

عمل الروائيون على نقل نصوصهم السردية/الروائية إلى عوالم مختلفة تتخذ من الفضاء الصحراوي بديلا موضوعيا لنمط المدينة، الذي شكل موضوعا أساسيا لعديد الكتابات، لمن عايشوا فعليا فضاءها ووعوا مظاهرها وأنساقها المختلفة. رافضين الانتساب إلى صورة اللاتحضر/ ما كان راسخا في المخيال الجمعي والثقافي اتجاه الصحراء، بالرضوخ لهيمنة النسق المكاني.

ولما كان النص الأدبي حدثا نسقيا، يتميز بالانفتاح على مجالات عدة تُغذِّي تكوينه. فإنّ الدراسة النسقية تضعه ضمن أطرها الثقافية والاجتماعية والتاريخية. لتُسهم في بنائه بشكل مضمر وخفيّ، لا يمكن معرفته إلا من خلال ربطه بأنساق النص الخارجية. من ثم كان الوقوف عند مفهوم الأنساق أمرا ضروريا يسبق البحث عنها ضمن النص محور الدراسة.

ضبط المفاهيم

أ/ مفهوم النسق:

– المفهوم اللغوي: تدل كلمة نسق في المعاجم اللغوية على معنى: **(النظام)**. قيل: « نَسَقَ الشَّيءَ ينْسُقُهُ نَسْقًا، ونَسَّقَهُ نظَّمه على السواء. وانْتَسَقَ هو تَنَاسَقَ. والاسم النَّسَقُ. وقد انتَسَقَت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تَنَسَّقَتْ» (منظور ج.، لسان العرب، دت، صفحة 352) المعنى ذاته ورد في كتاب العين حين اعتبر صاحبه أنّ «النسق من كل شيء ما كان على نظام واحد من الأشياء» (الفراهيدي، العين، دت، ص 81)، فالنظام هو جزء من النسق. ما يجعل هذين التعريفين بعيدين بعض الشيء عن المعنى المراد.

يستمد النسق معناه من وحدات عدة، سمتها التعالق والترابط، هذا ما أوضحه **(باسنوز)** بقوله: «النسق نظام ينطوي على أفراد فاعلين تتحدد علاقاتهم بمواقفهم، وأدوارهم التي تنبع من الرموز المشتركة والمقروءة ثقافيا» (كريزويل، 1993، ص 411)، ففهم هذه العناصر وإدراك ماهيتها لن يتأتى إلا بوجود خلفية معرفية متكاملة. إنّ انتماء مجموعة من الأفراد إلى البيئة ذاتها، يجعلهم يتقاسمون جملة من الأنساق، هذه الأخيرة تصبح مع الأيام عنصرا متحكما في سلوك الأفراد. فالنسق هذا العنصر الفاعل والمتغلغل في أعمالنا وممارساتنا، كثيرا ما ارتبط في استعماله بعنصر آخر هو الثقافة، وهو ما يستوجب منا ضبط مفهومها أيضا.

ب/ مفهوم الثقافة:

جاء في لسان العرب أنّ «ثَقُفَ الشَّيء ثَقْفًا وثِقَافًا وثُقُوفَةً. حَذَقَه. ورجل ثَقْفٌ وثَقِفٌ وثَقَفٌ حاذق فَهِمٌ. والمراد أنّه ثابت في المعرفة فيما يحتاج إليه» (مكرم، دت، ص 9)، كما تدل أيضا على «تعديل الاعوجاج، وتقويمه وتبويبه» (منظور ج.، لسان العرب، د ت، ص 72). نلاحظ بعد المعنى اللغوي عن المعنى الحقيقي للكلمة وهو ما يدفعنا لالتماسه في الجانب الاصطلاحي.

لعل علماء الأنثروبولوجيا من بين أوائل الذين اهتموا بتعريف الثقافة. فقد ذهب (تايلور) إلى أنها تعني: «ذلك الكم المعقد الذي يحتوي على المعلومات والمعتقدات والفنون والقيم والقوانين والعادات والإمكانات. أو عادات يكسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع» (الغامري م.، 2010، ص 7)، فلكل مجتمع ثقافته وعاداته وقيمه التي تمنحه الخصوصية، إلا أنهاّ ليست أمرا نمطيا، فـ «الثقافة ليست مجرد حزمة من أنماط السلوك المحسوسة، كما هو التصور العام لها. كما أنّها ليست العادات والتقاليد والأعراف. ولكن الثقافة بمعناها الأنثروبولوجي الذي يتبناه قريتز هي آليات الهيمنة، من خطط وقوانين وتعليمات، كالطبخة الجاهزة، التي تشبه ما يسمى بالبرامج، في علم الحاسوب، ومهمتها هي التحكم بالسلوك» (الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، 2005، ص 74).

ج/النسق الثقافي:

يحيلنا الربط بين شقي الكلمة إلى أنّ النسق الثقافي هو: «النظام السائد الذي يتضمن الرموز والمثاليات وتواصل الأجيال» (الكافي ا.، دت، ص 466). تترابط هذه الرموز وتتكاثف لصنع أنساق ثقافية. منها الظاهر، ومنها المضمر.

تحتاج كثير من الأنساق الثقافية في مجتمعاتنا العربية إلى إعادة نظر وتقويم؛ لأنّها صيّرت الإنسان حبيس مفاهيم ومقولات أكثرها جائر. وهو دور منوط بالنقد الثقافي الذي من مهامه تصحيح بعض الممارسات. بيد أنّ «مهمة النقد الثقافي كبيرة وشائكة، إنّه مسعى لإعادة ترتيب الوعي والدراية الذاتية والمجتمعية والقومية. وإذا أدركنا سعة المهمة وخطورتها علمنا كم أنّ قضية النقد الثقافي عربيا ليست ثانوية شأن الاختصاصات والممارسات الاعتيادية، التي درج عليها الأكاديمي والصحافة الأدبية» (الموسوي، النظرية والنقد الثقافي، 2005، ص 196)، فإذا كانت الأنساق الثقافية تمرر إلى الأجيال بصيغ مختلفة أكثرها مضمر، فإنّ كشف أسرارها دور يقوم به النقد الثقافي.

سلطة الفضاء الصحراوي الواقعية والوجدانية:

لما كانت الأمكنة حيزا جغرافيا غير محايد في النص الأدبي، فإنّها تملك القدرة على ممارسة سلطتها الثقافية من موقع قوة وتحكُّم. لذلك كان التمكّن من إبراز سلطتها ونفوذها على الذَّات الكاتبة، بما تحمله من عديد الدلالات، نجاحا في سبر أغوار معاني النص المضمرة.

شغل المكان مساحة معتبرة من الكتابات الأدبية، ملقيا بظلاله على الجانب التواصلي بينه وبين الأديب. فالصحراء هذا البعد المكاني محمّل برمزية كبيرة مصدرها الواقع المعيش، وما تحتفظ به الذاكرة من صور مختلفة. عملت هذه النصوص على تعرية ذلك الواقع المقيت، من خلال نقدها لأنماط الوعي المترسخة داخل الذّات عبر الزمن، التي كانت واحدة من أسباب انكساراتها.

حرصت الروائية **(جميلة طلباوي)** (للإذاعة،) من خلال روايتها **(وادي الحناء)** على إضفاء بعدٍ روحي على المكان/الصحراء، بجعله يتقاسم مع الذّات الكاتبة بعض أسرارها. أين أصبح مصدرا للقوة عندها عبر ما يفرضه من ممارسات ترسّخ سلطته الثقافية.

إنّ اعتماد الفضاء الصحراوي المفتوح تيمة مركزية في هذا العمل؛ دافعه بناء نص تخييلي مختلف من جهة. ودفع صورة التخلّف والبدائية، التي كثيرا ما طبعت نظرة العديد من الناس ممن عُرفوا بتحيّزهم للمدينة من جهة أخرى. تجاوزت الصحراء في رواية **(وادي الحناء)** البُعد المكاني المحدد بمساحة ما، لتعبر عن البيئة العامة بكل معطياتها المادية والبشرية.
طغى على هذا الفضاء الواسع الزاخر بالعادات والتقاليد والأنساق المختلفة، الحرمان من أبسط الحقوق، ومصادرة الأفكار ومحاربة المشاعر بالتحديد اتجاه الذات الأنثوية.

عملت الروائية (جميلة طلباوي) من خلال بطلة روايتها **(عويشة التيماوي)** على إظهار الاعتزاز بالانتماء إلى هذا المكان/الصحراء، بل الأبعد من ذلك فهي تجد فيه الهواء الذي لا يمكنها العيش بدونه، فتجيب سائليها عن مدينتها قائلة: «أنا من أدرار المعروفة بزراعة الحناء، وبها وادٍ يحمل اسم هذه النبتة، صديقة المرأة ورمز الأفراح، قلت له أيضا بأننا نسميها (الحنة)» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 16). تمتلك الصحراء القدرة على بسط نفوذ فراغها على الذّوات المتعلقة بها، لتكون بعدا استقطابيا لهم، مستغلة عطش الذّات إلى الامتداد والفراغ لتحقيق أهدافها. تشترك الصحراء/أدرار هذا الفضاء الرحب المليء بالأسرار، مع (عويشة) في كثير من الملامح والخبايا.

ركّزت الروائية على المكان المفتوح ضمن وصفها للمكان العام، الذي تقع فيه أحداث الرواية، بغرض الإحاطة بكل ما هو جوهري، من عادات وتقاليد وقيم نابعة من رحم المكان. ما جعل بطلة هذا العمل **(عويشة)** تبادل المكان كثيرا من المشاعر والأحاسيس، إلى درجة التوحّد والاندماج فيه. فتقول:« رحت أشرب الماء وكأنّني أسحب كل الفقارات إلى جوفي. لعلني اطفئ ظمأ روحي لزمن جميل ها هنا في هذه الواحة المبتسمة للشمس بجنانها، ونخيلها، وتمورها وسواقيها، التي تنبع من فقارات مدينتي "توات" كما كان يحلو لوالدتي (لالة مريم) أن تسميها. "تيمي" هي منبتي، ومدينتي التي عشقت تربتها، ووجدتُني نخلة مزروعة فيها» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 20). جسدت الكاتبة رؤيتها للمكان الذي تعرفه بطلتها وعاشت فيه. فأضفت عليه من مشاعرها وحالاتها النفسية المختلفة أشياء كثيرة. مستغلة معالمه الطبيعية مؤشرا على تلك الحالة. فكان أن أسقطت الواقع على الطبيعة تجنبا للتقريرية والمباشرة في الوصف.
استطاعت الصحراء ذلك الفضاء المهّمش أن تكسر النمط السائد، وتزاحم المركز/المدينة وتفكك شفرة أفضليته.

ربطت **(جميلة طلباوي)** بين المدينة/وهران، والصحراء/تيمي، من خلال نظرة عويشة/البطلة، بحثا عن بقايا رمل في ذاكرة مجتمع يطبعه التحوّل. وإعطاء المعنى بعدا رمزيا. «في توات أو تيمي الرمل ممتد يأخذ شكل البحر. وفي وهران أدهشني البحر بامتداده وزرقته. أكسب المدينة رائحة تختلف عن رائحة الحناء، التي اعتدت عليها تزيّن كفي. للمدن روائح، ولكل رائحة قصة ترسم للمدينة وجهها» (طلباوي، واد الحناء ، 2018، ص 150). جمال الباهية وهران وما يعبّق فضاءها من حكايات، لا يُغني (عويشة) عن مدينتها تيمي شيئا. فما تمارسه وهران من فعل غواية، لا يعدو أن يكون مجالا للاكتشاف، وحيزا لتحقيق حلمها الذي سافرت لأجله. فـ «المدن هكذا إما أن تحب دفعة واحدة، أو ترفض جملة وتفصيلا. المدينة والمرأة متشابهان؛ تغويك وعندما تصير فيها تتخلى عنك. أو بكل بساطة تضعك في خانة المضمونين. وقد يأخذك سحرها فتنسيك حذرك اليومي، فتضيع ولا شيء فيها يعزيك في قسوة الفقدان» (تحريشي، 2007، ص 81)، لما يكتنفها من غموض وأسرار.

استطاعت (عويشة) أن تكتشف التباين الحاصل بين الفضاءين من خلال صديقتها **(خيرة)**، التي تعوّدت على المكان حتى غدا جزءًا منها.

ما طبع الحياة في مدينة وهران من سرعة وصخب، لا يكافئ هدوء تيمي وطيبة أهلها، فهي صورة أخرى للجمال المخبوء. هذا ما عبّرت عنه (عويشة) وهي تتحدث عن عالم مختلف تفتقده المدن الكبرى ألا وهو الزاوايا بأبعادها الصوفية، ودورها المجتمعي. «كانت تلك المرة الأولى التي تدخل فيها لالة مريم القصر الكبير أو دار شيخ الزاوية . فتكتشف عالما آخر صاخبا بحياة تختلف كثيرا عن الخارج. أذهلها النظام الدقيق الذي يحكمه، ابتداء من توزيع الأجنحة، وكل جناح له باب يؤدي إلى خارج القصر. وكل جناح متكوّن من عدّة غرف واسعة ومؤثثة بأفرشة ونمارق ... وجناح للضيوف مهيأ بكل ما يحتاجه الضيف المقيم لعدة أيام» (طلباوي، واد الحناء ، 2018، ص 53). هذا العالم الجديد الذي اكتشفته **(لالة مريم)** والدة عويشة، لأوّل مرة من الداخل، ومن بعدها (عويشة). هيّأ لها الراحة النفسية التي كانت تبحث عنها بعد موقف ضرائرها منها (زوجات السي جلول) بوصفها لا تتناسب معه سنًا.

الزاوية هذه المدرسة الكبيرة لتعليم القرآن، لا تكُفُّ عن تقديم الدّعم والمساعدة للمحتاجين. فسلطة الزاوية وشيخها كبيرة في المنطقة.

كان قصر سيدي الشيخ فضاء يعجّ بالحركة الدَّائبة، التي لا تكاد تهدأ. بالضيوف الذين ما فتئوا يقصدونه التماسا لبركة سيدي الشيخ، ودعائه الصالح. ما جعله فضاءً للفرح «أذكر أيضا أن مدينة تيمي عاشت على وقع العرس الكبير، الذي زُفت فيه لالة فاطمة الزهراء للسي عثمان. والكل يدعو لهما بالذُّرية الصالحة. تحوّل القصر إلى كوكب فرح. قدّمت الذبائح هدايا من أعيان المدينة، وجاء السكان بهداياهم من قماش وحلي فضية، وأواني وأفرشة وأطعمة. وعاشت المدينة على إيقاع البارود، وأغاني "الركبية" و "الشلالي" وكل الأهازيج التيماوية، التي جعلت الفرح عنوانا لمدينتنا» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 127). طيبة أهل الصحراء وبساطتهم جعلت سكانها يحس بعضهم ببعض، فيتشاركون في الأفراح كما في الأحزان.

تحوّلت الشوارع في تيمي بمناسبة زواج (السي عثمان/ابن سيدي الشيخ الوحيد)، إلى مساحات للفرح والمشاركة، فقد «ظلت الزغاريد تتردد في الشارع الذي قطعناه مشيا على الأقدام إلى بيت العروس، وروائح البخور تتصاعد من مختلف البيوت التي مررنا بها. كمشاركة من كل العائلات لفرحة سيدي الشيخ بابنه الوحيد السي عثمان» (طلباوي، واد الحناء ، 2018، ص 114). هذه الصور الجميلة للفرح، ارتسمت في ذاكرة (عويشة)، وكانت رصيدا يُغذي اعتزازها بالمكان، ويزيد من اندماجها فيه.

بيد أن المفارقة أنّ هذا القصر الذي صنع يوميات (عويشة) واحتضن طفولتها وهي تركض بين أفنيته لتعانق أحلام ساكنيه، وأحلام الطفولة، قد طاله التبدّل والتغيير. فعودتها إليه وهي شابة أشعرها بالاغتراب، فتقول: «وجدتني أعيد اكتشاف دار الشيخ الكبيرة، بعدما ضجّت بأبناء الحفيدات، أحسست بتغير كبير يحدث من حولي، لم تعد هناك قواسم مشتركة في حديثي مع الحفيدات. لم يعدن يتحدثن عن فارس الأحلام كما السابق، لم تعد قصص الحب في المجلات تثيرهن. أصبحن يتحدثن عن أزواجهن، وعن أبنائهن، وعن حياتهن الجديدة. أحسسنني بينهن ورقة حناء سُحقت لتزيّن لحظاتهن، وتنسيهن تعب الحياة الجديدة» (طلباوي، واد الحناء ، 2018، ص 165). لعل التغيّر كان داخليا مقره قلب (عويشة). فالحياة قد أفقدتها تلك

البراءة، التي كانت تجعلها شعلة من الحركة الدائبة، والفرح الغامر. فنضجها فتح بصرها على أمور وتفاصيل لم تكن تثير انتباهها سابقا وهي طفلة.

3- الذّات بين الطموح ونزيف الوطن:

أسهم الإرهاب –هذه الآفة التي نخرت جسد الجزائر فترة التسعينيات– في تعميق الهوة والاغتراب النفسي عند بطلة الرواية/عويشة، هذه الأخيرة التي تحدّت الأعراف والتقاليد للانتقال للدراسة في الجامعة. «كنا خلالها كلما أردنا ركوب الحافلة للرجوع إلى مدينتنا إلا وبكينا ونحن نودّع أصدقاءنا، فقد يصادفنا حاجز مزيّف وننحر ككبشين. ونفس الدموع ونفس الألم، وكثير من الرعب كلّها أشياء كانت تحضر بقوة كلّما انتهت العطلة. وأردنا ركوب الحافلة، ونحن نودّع الأهل للانطلاق من أدرار نحو جامعة السانية بوهران» (طلباوي، واد الحناء ، 2018، ص 118). حالة التأزّم السياسي وما فرضه من ضبابية المشهد، جعل الإحباط يتسلل إلى نفس محمد/ زميل عويشة وابن مدينتها. فالخوف من المصير المجهول جعل طريق العودة محفوفا بكثير من المخاطر، والمجازفة ليست دائما محمودة العواقب.

انعكس هذا الوضع على نفسية محمد ما دفعه للتساؤل عن جدوى الدراسة في ظل هذه الظرف «تصدعات محمد كانت نتيجة عوامل نفسية. أطال الصمت، وقد تملكه إحباط شديد قبل أن يحدّثني عن جدوى هذه المغامرة من أجل الدراسة في بلد يموت. انتفضت غاضبة وأنا أقول له بأنّني ابنة وادي الحناء، وبأنّني ورقة حناء خضراء. ولا يكون لوجود الحنّاء معنى إلا بعد أن تسحق وتخلط بالماء لتأخذ في الكف لونا أحمرا مبهجا. قلت له بأنّ الحاجز المزيّف لا يهمني، أنا خُلقت لأكون لونا للفرح» (طلباوي، واد الحناء ، 2018، ص 18)، هذه الطاقة الإيجابية التي أرادت (عويشة) زرعها في محمد لا تنفي مرارة الواقع، وسوداوية الأحداث في وطن جريح. فمخاوف محمد كانت منطقية، أكدها الحادث الأليم ذلك اليوم. فمع «العصر بدأت أستعيد هدوئي، وبدأ محمد يفقد أعصابه. كان علينا أن نعود بسرعة إلى الحي الجامعي قبل أن يسوء الوضع الأمنيّ في المدينة. فقد سمعت طلقات رصاص، وعرفنا بعدها بأنّ إرهابيين أطلقوا النار على شرطي أردوه قتيلا. أوصلني إلى الحي الجامعي للبنات، وتوجّه مسرعا إلى الحي الذي يقيم فيه» (طلباوي، واد الحناء ، 2018، ص 154). الشوارع هي الأخرى لم تعد آمنة، فالموت يُحكم قبضته على كل المسالك، ويكاد يفتك بالجميع.

النزيف الدموي لم يطَل الأرواح البريئة فقط، بل غرس خناجره في قلب عويشة، معلنا انكسارا طال عمق نفسها، وسيطر على دواخلها «بكيت ليلتها بمرارة، بكيت كل أولئك الذين ذُبحوا، بكيت وطني الجريح» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 155)، قلّت الخيارات، وذاقت السبل أمام محمد، صار الحل الوحيد هو العودة إلى تيمي. قرار مفاجئ تسبب في تأزّم العلاقة بين محمد وعويشة، كلّ ذلك تحت وطأة الإرهاب، تقول: «يومها عارضته وصرخت في وجهه بأنّه علينا التحلّي بالشجاعة والصبر والإصرار على إكمال دراستنا. بعد ذلك يحق لنا الحديث عن العودة إلى تيمي، وأن نقيم عرسا كبيرا. أذكر أنّه غضب مني وخيّرني بين العودة معه، وبين البقاء في وهران على أن أنساه تماما. الاختيار كان صعبا أخذ من تفكيري ومن وقتي. وما آلمني أكثر أنّه نفّذ وعيده وعاد إلى تيمي وتركني فريسة للحسرة والألم» (طلباوي، واد الحناء ، 2018، ص 155). دقة الوضع، وحساسيته أمر أكدته صديقتها خيرة حين جزمت بأنّ «سكينا من مجرم قد تذبح حلمنا، وتقتل فرحتنا»

(طلباوي، واد الحناء ، 2018، ص 156). استطاعت خيرة أن تضع إصبعها على الجرح، فالخوف من المجهول صار هاجسا يطبع اليوميات في الجزائر، أين لا شيء مضمون. في وطن تُغتال فيه الأحلام وتؤد بدم بارد.

كانت (خيرة) أيضا ورقة حناء سحقتها الحياة؛ حين جعلتها عرضة لمشاكل كثيرة مع زوجة أبيها وإخوتها، بعد وفاة والدتها. «إنّ الأنا التي تعاني ويلات الاندثار والفناء، وتكافح الاستعلاء من الآخر، تنخرط في البيئة من حولها معلنة عدم الاستسلام التام لكل مفردات السلب من حولها» (إبراهيم، 2018، ص ص 252 – 274) قرار (عويشة) بالبقاء وتحدي الظروف القائمة، جعلها تودّع صديقتها (خيرة) العائدة إلى بيتها لقضاء عطلة الربيع بحزن كبير، وكأنّها أدركت بأنّها لن تلتقيها مرة أخرى، فالطريق غير آمن وغير مضمون.

صدمة أخرى تعصف بقلب (عويشة)، فبعد عودتها من العطلة إلى الحي الجامعي، متحدية مخاوفها الداخلية، وتحذيرات سكان قصر سيدي الشيخ. يستقبلها القدر بصفعة جديدة «كنت أحمل معي هدايا لصديقتي خيرة. جلبت لها ملحفة ومسكور إناء البخور التيماوي. جلبت لها إسورة من فضة أيضا. وصلت مع العصر إلى الحيّ، الجميع بدا لي حزينا، رفعت بصري فإذا بي ألمح لافتة في مدخل الحي كتبت عليها أسماء الطالبات اللواتي ذُبحن في حاجز مزيّف. كان اسم خيرة يتصدّر تلك الأسماء. وقعت يومها مغشيا عليّ. حملتني الطالبات إلى العيادة، استعدت وعيّ، لكنني لم أكف عن البكاء. لم أستطع المبيت في الغرفة التي جمعتني بخيرة. فضيّفتني طالبة من مدينة معسكر في غرفتها. لم أنم ليلتها، بكيت بكاء مرّا» (طلباوي، واد الحناء ، 2018، ص 158). طموح (عويشة) في ملاحقة حلمها، وحثها الخطى لتحقيقه، كسره ما أصاب خيرة. فإذا كانت تميمة (فانة) قد حمت (عويشة)، من مصير مجهول، فإنّ خيرة لم تجد ما يحميها، فلاقت حتفها بكل وحشية.

قررت ورقة الحناء (عويشة) الانصياع لإرادة القدر، والتسليم بسطوته وقدرته على سحقها، والعودة إلى تيمي. الوضع لم يعد يتحمّل مزيدا من المراوغة. تغيّر وجه مدينة وهران، صار موحشا، ينزف دما ودموعا «بحر وهران كان ساعتها خليط دماء ودموع. وبعد أن كنت أعتقد بأنّ للمدن رائحة، اكتشفت بأنّ للمدن أصواتا أيضا. أصبح لوهران أنين، وأصبح لتيمي صوت ينادي إليها. صوت لا يكف عن الصراخ. صوت كان شبيها بصوت محمد عندما دعاني للعودة» (طلباوي، واد الحناء ، 2018، ص 159). الشعور بمرارة الوضع أمر لمحته عويشة في عيني سائق السيارة الذي أوصلها للمحطة، في طريق عودتها النهائية إلى تيمي. لقد «خنقت صوته دمعة كانت ستفلت من عينه، فأصبحت متأكدة بأنّه استحضر في وجهي وجها ما. قد يكون لأخته، لقريبة له، لفتاة استقلت سيارته ولم تعد. كان صوته يختنق مثل أصواتنا جميعا في فترة صمتت فيها العنادل، واحتلّ فيها الغربان المكان» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 160). تعمّق الجرح في هذا الوطن، بعد أن طرق الحزن كل البيوت. انطلقت (عويشة) في سفرها بعد تأزّم الوضع، واعترى الألم كل القلوب، فصار الاغتراب أكبر في وطن مكلوم.

4- بلاغة الصمت في التعبير عن ظمأ الروح:

تباينت المواقف التي استوجبت السكوت، فكان الصمت قرارا صارما وصعبا توارت وراء حُجبه آمال وآلام عديدة؛ حرصا على عدم البوح. كان الكتمان أبلغ وقعا ودلالة من الكلام ذاته.

تعددت مواقف الصمت في رواية (**وادي الحناء**). اتخذ أبطالها مواقفَ وردودا تتناسب وذواتهم المنكسرة، التي ما فتئت تتأوّه في منأى عن الآخرين. اختارت (مليكة) زوجة (السي عثمان) ابن سيدي الشيخ الوحيد، التوجّع في صمت، بعد أن خذلتها القدرة على الأمومة بإنجاب طفل يروي ظمأ الاشتياق والحرمان لديها. «لتجد نفسها محاطة بحفيدات سيدي الشيخ يسألنها عن البحر وكلّهن عطش للعالم الخارجي. لكنّ بحر همومها كان يبتلعها في صمت، ويجعلها بدل أن تحدثهن عن النوارس، وعن جنون الموج وثورته، تحدّثهن عن مختلف الأطباء ومخابر التحاليل الطبية، كانت تحدثهن عن خيبتها، وعن عطشها لصرخة صبي. ونداء الأمومة في داخلها يسيطر على كلّ حواسها، ويُغيّر طعم حياتها لتفيض المرارة في حديثها، الذي يؤلم الحفيدات، ويجعلهنّ يتحسرن على حالها، ويرفعن أيديهنّ بالدعاء لعلّ الله يسعد قلبها الطيّب بالولد الذي تهفو إليه» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 67). كان الصمت علامة ناطقة بزخم المعنى، وتفاصيل الحكاية. (**مليكة**) وغيرها كثيرات سحقتهن الحياة بهذا اللّون من الحرمان. فتَوقُها النّهم للأمومة نغّص عيشها الهنيء، وحوّل أحلامها إلى كوابيس.

استطاعت لغة الصمت أن تترجم حجم الفقد، وترسم كبر المعاناة عند (مليكة) «إنّ هذا الملفوظ يبرز مدى الصراع القائم بين الذات وذاتها، فكريا ونفسيا. وبينها وبين الآخر عبر مسار صوري يحدد ضعف الذات مقابل سلطة وقوة وقسوة الآخر (الرجل/المجتمع)» (واصل، 2013، ص 133)، فالشعور بالعجز أمام قهر الأنساق الاجتماعية، أمر تجرّع مرارته والد مليكة، فكان غصّة في قلبه عبّر عنها بقوله: «الله ليك عوين يا المحروم من الدرية» (طلباوي، واد الحناء ، 2018، ص 74). حسرة هذا الأب كانت كبيرة والعجز يتملكه، بحيث لم يستطع معه فعل شيء لابنته، التي لم يكن ليقصِّر في منحها السعادة كغيره من الآباء لو كانت مفاتيحها بيده.

صراع نفسي كبير كان يعيشه (السي عثمان)، فذاته المنقسمة بين الرغبة في أن يكون له طفل/الأبوة، وحبّه لـ (مليكة) وخوفه على مشاعرها، يكبلانه. ما جعله عاجزا عن التوفيق بينها، في ظل إصرارها على الطلاق في حالة أراد الزواج بأخرى. فيخاطبها مواسيا: «أنت لالة، وأنت السلطانة، وما هي إلا أم الولد. لكن لالة مليكة كانت تنفجر باكية كلّما ذكر هذه العبارة. فيرتبك السي عثمان، ويغادر جناحه ليتّجه إلى خارج القصر، ولا يعود إلاّ في الليلة الموالية» (طلباوي، واد الحناء ، 2018، ص 70). (مليكة) تعي جيدا عجزها، لكنّها لا تستطيع تحمّل وجود امرأة أخرى في حياة زوجها، حتى ولو كانت **وعاءً**. فأنوثتها ستجعلها تموت في اليوم ألف مرة وهي تشهد تسلل امرأة أخرى لشغل مكانها في قلب زوجها.

صورة أخرى لدلالة الصمت رسمتها الأيام على محيّا (عويشة)، وهي تودّع أمها (**لالة مريم**) إلى مثواها الأخير. الموقف حينها كان مهيبا. «صمت غريب أطبق على المكان لأكثر من شهر، لم أعد أثرثر، وأطرح الأسئلة كما في السابق. ولا عادت الخادمات ينقلن الأخبار والحكايات كما في السابق. كنّ كلّما وقعت أعينهن عليّ قادمة إلى بيت سيدي الشيخ، تتلألأ الدموع في أعينهنّ، فيكتفينّ بتحيّتي وينصرفن. نفس الشيء كانت تفعله لالة حليمة والحفيدات، كلّما دخلت قصر سيدي الشيخ، أقبلنّ وآخذ مكاني بينهن، فيلتزمنّ الصمت؛ وكأنّهنّ كنّ يحترمنّ صمتًا خيّم على روحي» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 132). فقدان عويشة لأمها ويُتمها المزدوج أفقدها التوازن، وأحدث بداخلها شرخا كبيرا، يطول زمن رأبه، فقد أذبلها الحزن، واستحكم على قلبها.

5- معاناة المرأة في ظل تضييق الأنساق:

تعددت الأنساق الاجتماعية التي تجاذبت الحياة في (تيمي)، المضمرة منها والصريحة، التي كثيرا ما كانت ضحيتها المرأة. مثّل أحد صورها الزواج غير المتكافئ، ف (مريم) التي قرر والدها تزويجها من خارج نطاق القبيلة قائلا: «أعطيت مريم بنتي لصاحب تيمي» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 32). (السي جلول) كان يكبر مريم بعشرين سنة تقريبا، وله غيرها زوجات وأبناء. هذا الظلم دفعت ثمنه (مريم) فيما بعد من راحتها وصحتها. فقد عملت «زوجاته على رفض زواج الحاج جلول من والدتي لالة مريم لصغر سنّها؛ إذ كانت في سن ابنته الكبرى (الياقوت) التي كانت تستعد لتزفّ إلى ابن أحد أعيان المدينة من أصدقائه. اكتفى الحاج جلول بالقول بأنّ هذا الزواج يدخل في إطار المكتوب. مريم كانت قدره الذي لم يستطع الهروب منه» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 48)، رفض الضرائر وأبنائهن لزواج أبيهم الكهل من امرأة بهذا السن، ظهر تأثيره على (مريم) العروس الشابة، التي أعلمها الموقف نوع التحدي الذي هي مقبلة عليه داخل القصر الكبير.

فقد «بكت يومها لالة مريم بحرقة وهي ترى الكره والتَّذمُّر في أعينهم. لكن حب الحاج جلول لها استطاع مواساتها، ومنحها الصبر لتحمّل غربتها وحياتها الجديدة» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 49)، عمل (السي جلول) على التخفيف من وطأة تلك الغربة بالتقريب بينها وبين لالة حليمة/زوجة سيدي الشيخ. هذه الأخيرة التي عُرفت بالطيبة ورجاحة العقل. لعل تشابه وضعيهما بزواجهما من رجل أكبر منهما سنا كان الدافع وراء احتواء لالة حليمة للالة مريم، ومحاولة التخفيف عنها. «فكلتاهما كانت شابة، تزوّجت برجل في سنّ والدها حبا لعلمه وجاهه ومكانته الاجتماعية. كلّ واحدة منهما وجدت أمامها في حياتها الجديدة ربائب. فزوجة شيخ الزاوية جاءت إلى القصر الكبير بعد وفاة زوجته الأولى، التي أنجبت له ابنتين وذكرا وحيدا، احتضنتهم وسهرت على تربيتهم فصاروا ينادونها بـ (أمي). لقب منحها صبرا كبيرا على حرمانها من الإنجاب» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 79). البحث عن التعويض كان سبيل **(لالة حليمة)** الوحيد في ظل استلاب أنساق، وقهر القدر.

استمرار شعور **(لالة مريم)** بالغربة في ظل رفض عائلة (السي جلول) لها. والبحث عن أنيس جعلها تقصد قصر سيدي الشيخ «ها هي اليوم لالة مريم تدخل القصر معي أنا ابنتها عويشة. يسكنها نفس إحساس المرة الأولى، لنقل أنّ هذه المرة تشترك مع الأولى كونها جعلتها تقف على شفا هاوية من الغربة والحيرة، والإحساس بالضياع. اليوم لالة مريم ليست وحيدة، يدها تستأنس بيدي الصغيرة وهي تدخل إلى هذا القصر، وإلى الجناح الكبير المخصص للالة حليمة» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص ص 87، 88). وقف الشعور بالارتياح وراء بوح **(لالة مريم)** بما اعترى قلبها من ألم. لم تكن تتوقع أن يبادرها ويقطع دربها بهذه السرعة. فقد أخذت «تطأطئ رأسها وكأنّها تريد أن تدفنه في رمل تلك اللحظة المتحركة من وجعها، وبين واقعها الذي لا مفر لها من إيجاد حل عملي له. ثم لم تشعر إلا وهي تنفجر باكية. لترتبك لالة حليمة، وهي تمرر يدها على كتفي مشيرة إلى أن أجلس إلى جانبها. ثم تنهض وتجلس بالقرب من لالة مريم وهي تمدّ يدها وتحضنها مواسية لها. وهي تتمتم: "رحمة الله واسعة» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 89). معاناة **(لالة مريم)** كانت متعددة التفاصيل والملامح، زاد من وطأتها مواجهتها لها وحيدة دون داعم أو نصير. ما سهل الطريق على المرض للتسلل إلى جسدها، فأصابه بالضعف والوهن شيئا فشيئا.

كان التألّم في صمت ديدن المرأة الجزائرية/التيماوية، فقد غدت **(لالة مريم)** وابنتها وحيدتين في هذه الحياة، بعد وفاة زوجها/السي جلول. ثم اضطرارها لترك ابنتها للعيش في زاوية سيدي الشيخ. ما جعل «المرأة بواسطة كل هذه الأنساق الذكورية تتحوّل إلى قامعة لذاتها. عاجزة عن تجاوز المعيقات الخارجية؛ لأنّها قد أصبحت لصيقة بها من الداخل نتيجة للتنشئة أولا، وللأعراف المتوارثة والمتواضع عليها اجتماعيا ثانيا. فتكبّلها كلّما حاولت أن تتخلص منها، فهي "ظلها" وهي "هيكلها المتوارث" من وجهة نظر النص» (واصل، 2013، ص 126)

بدأت (عويشة) تعي بعمق معاناة أمها، فلم تجد سوى حضن **(لالة حليمة)** ملجأ تبثه حزنها وقلقها عليها. «حاولتُ مسح دموعي وأن أخبرها عن مرض والدتي. كانت لالة حليمة تنصت إليّ والقلق يتسرب إلى وجهها الملائكي. صحيح أنّها حاولت التهدئة من روعي وهي تقول: لا تخافي يا ابنتي رحمة الله واسعة» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 122). تهاون **(لالة مريم)** وإهمالها لمرضها، جعل هذا الأخير يتمكّن منها. فـ «حال والدتي لم يكن يُطمئن الطبيبة. بخبرتها جعلتها تتحدث وتخبرها عن الورم الذي تطوّر في ثديها. الطبيبة ابتلعت ريقها من هول الصدمة. لكن والدتي أضافت بثقة كبيرة بأنّ **الدّا رقية** في قريتها أخبرتها بأن الورم تشكّل في ثديها بفعل السحر الذي قامت به زوجات الحاج جلول انتقاما منها أن تزوجت من حبيبهن سلطان الغرام» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 126). بساطة (لالة مريم)، والخطأ في المعاينة والعلاج جعل تدارك الأمر ومحاصرة المرض شبه مستحيلة.

عجز **(لالة مريم)** عن تغيير واقعها جعلها تستسلم له، بل أصبحت خصما لذاتها، قامعة لأي نوع من الرفض. أصبح صمتها «كرمز لتحوّل القهر الخارجي إلى داخلي، وتحوّل الضغط من المجتمع ذاته إلى الذّات نفسها. فيكون المعيق حينئذ مزدوجا خارجيا (المجتمع) وداخليا (الذات نفسها)» (واصل، 2013، ص 128).

كانت **(لالة مريم)** بسبب الجهل من جهة، وقلة الحيلة من جهة أخرى «ورقة حناء سحقها المرض، ورغم ذلك كانت تزيّن حياتي بحضورها، وهي تكتم ألمها. كلّ من يسحقه الألم هو يزيّن ما حوله، ما هو في حقيقة الأمر سوى ورقة حناء مسحوقة» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 128). وقفت الأنساق الاجتماعية السائدة في الجزائر/تيمي وراء تكبيل المرأة، والتقليل من مساحة حريتها. ما أحال جزء كبيرا من حياتها إلى زوايا مظلمة. سحقتها العادات والتقاليد، فتألمت في صمت، وكلها إصرار على أن تكون شمعة تحترق لتسعد الآخرين وتضيء دربهم.

أسهم الشعور بالعجز في تعميق هوة الضياع، وفقدان الأمل عند عويشة، فتضاربت مشاعرها وتشظّت بين الحب والانكسار. «أحسست لحظتها بدوار، ارتعشت يدي، سقط منها طبق أرضا. تهشّم صار شظايا ... اتجهت إلى صوب غرفتي، فتحت بابها بيدٍ ترتجف هلعا. ارتميت على فراشي وانزويت وحيدة أبكي بمرارة هذا الألم الذي يعتصر قلبي» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 130). حُزن عويشة لفقدان والدتها كان كبيرا شاركها فيه الجميع.

6- الذات الذكورية وخرق الأنثى للأنساق الاجتماعية:

وقفت عديد الأنساق في بيان الاختلاف القائم بين طبقات المجتمع في منطقة تيمي، وبالذّات ما تعلق منها بالمرأة؛ حيث كان الحلم بالتعليم، وإتمام المسار الدراسي سببا في إدراك عويشة لاختلافها عن حفيدات سيدي الشيخ. تقول: «أذكر وأنا أحصل على القرطين وعلى النجاح لمست فارقا بيني وبين حفيدات الشيخ. إذ كانت تلك آخر سنة يخرجن فيها.

فقد وصلن إلى مرحلة البلوغ، وأصبحن ملزمات بإتباع عرف العائلة الكبيرة، وعدم مغادرة البيت؛ كونهن حفيدات الشيخ» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 98) ، هذا الفارق في المكانة، وفي لون البشرة أيضا، لم يثبِّط من عزيمة عويشة، في إكمال مشوارها الدراسي، وتحقيق حلم والدتها. فالتعليم وحده ما يمكن أن يحقق لها التفوّق والتميّز عنهن، في ظل غياب التكافؤ الاجتماعي.

اقتصرت إطلالة حفيدات سيدي الشيخ على العالم الخارجي بعد أن ألزمنّ على البقاء في البيت، وحجبهن عن الشارع، على تلك المجلات والجرائد، التي كانت تجلب لهن من الخليج وبلاد المشرق. هذا الأمر لم يكن مهيئا إلا لحفيدات سيدي الشيخ، ذوات الشَّرف الرَّفيع والمكانة العالية. عويشة أيضا كانت نافذتهن على العالم الخارجي. لذا كان «دخولي القصر هو الحدث الجميل بالنسبة لحفيدات الشيخ، اللواتي كنّ ممنوعات من الخروج خارج القصر. ويمنع أن يراهنّ رجل غريب. هنّ أيضا كنّ انتبهن إلى فاكهة الأنوثة ناضجة في أجسادهن البضة. وبدأن يحلمن بفارس الأحلام بطريقة مختلفة عن قوانين العائلة، التي تضع مصير البنت بيد العائلة الكبيرة. فابن عمها ملزم بالزواج منها، يكفي أن يبلغ سنّ الزواج حتى يبادر والده إلى خطبة إحدى بنات الشيخ تكون إحدى نساء العائلة رأتها. ويتم الزواج، ويُحفظ النسل الشريف» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 102)، لعل كلثومة أصغر حفيدات سيدي الشيخ، أولهن إفلاتا من هذه الدائرة؛ بأن طرق الحب باب قلبها، فاتحا المجال للزواج «كانت كلثومة أوّل من تتزوج من حفيدات الشيخ، رغم أنّها الأصغر سنا. لا أنكر أنّني فرحت لأجلها. فرحت أكثر لانتصار الحب والمشاعر الجميلة» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 142).

صارت (عويشة) هي أيضا –وإن لم تكن بمكانة حفيدات سيدي الشيخ الاجتماعية– بسن النضج والبلوغ، ما دفع أخاها الحاج موسى لأخذها للعيش معه في بيته/بيت السي جلول، حسب العادات والتقاليد «فعلا غادرت قصر سيدي الشيخ إلى بيت والدي الحاج جلول، لأقيم في الجناح الخاص بأخي الحاج موسى وعائلته. فوجدته يخصص لي غرفة مجهزة بمكتب ومكتبة وسرير مريح. طلب من نجار الحي أن يصنعهم هدية لي لتفوقي الدراسي وإشارة منه لرغبتة في مساندتي، ودعمي لتحقيق حلمي في مواصلة الدراسة» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 104). شعور (عويشة) بدعم أخيها الحاج (موسى) أعطاها دفعا نفسيا كبيرا، وقوة على المضي في بذل جهد أكبر لتحقيق أملها، ومواصلة مشوارها التعليمي.

لم تستطع **(لالة مريم)** إخفاء توجسها، أمام حماس (عويشة) الكبير وتصميمها على متابعة حلمها، فـ «استطردت وهي تنبهني ألا أنجرف وراء حلم الدراسة، فأنسى أنوثتي، وأنسى أن أكوّن أسرة. اقتربت منها أكثر، أمسكت بيدها وأنا أطمئنها بأنّني سأكمل دراستي. وبأنّني سأتزوج أيضا، ولكن من شخص يكون سندا لحلمي» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 118). شكّل الزواج هاجسا شغل الأمهات في كثير من الأحيان، حول مصير بناتهن.

رفضت **(عويشة)** الاستسلام للعادات والتقاليد. فحلمها بالزواج كغيرها من بنات جنسها، لا يجعلها ترضى إلا بفارس حقيقي يدعم حلمها، ويكون سندا لأفكارها ولحياتها. فقد تعلمت من تجربة أمها، وانكسارها أشياء كثيرة. تلك التجربة التي طبع القهر ملامحها، وكتب المرض نهايتها بوجهه السافر «كنت أرى نفسي أكبر من أن أكون مجرد وعاء. كنت رسمت صورة

لفارس أحلامي، ذلك الرجل الذي يسندني لأحقق حلم والدتي فأكون سلطانة القلوب في تيمي كما كان والدي» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 107).

عُدّ الخروج عن النسق الاجتماعي العام السائد في تيمي خرقا للأعراف في نظر سكان المنطقة. فوقوف الحاج (موسى) في صف **(لالة مريم)** ومساعدتها عرّضه هو أيضا لمقاطعة إخوته له. «اتّخذ إخوتي قرارا بإقامة جدار يفصل جناحه وجناح والدتي عن البيت الكبير. فأصبح للجناحين مدخل واحد بعيد عن مدخل البيت الكبير ببضع أمتار» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 144).

كان الحدث المميز في حياة **(عويشة)** وعائلتها حصولها على شهادة البكالوريا. عُدّ انتصارا لوالدتها، ولبنات سيدي الشيخ، قبل أن يكون نقطة تحوّل كبيرة في حياة (عويشة) ذاتها «أما يوم حصولي على شهادة البكالوريا فكان الحدث الذي كسر الجمود في المدينة. فرحة أخي الحاج موسى كانت لا تضاهى. أقام الولائم، خصّ لها الذبائح وألذّ المأكولات. سُمعت طلقات البارود. وجاءت الفرق الفولكلورية تشارك أبناء الحاج جلول فرحتهم بنجاح عويشة "وريقة الحناء"» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 146)، فرحة (عويشة) كانت فرحة لكل ساكني قصر سيدي الشيخ.

بيد أنّ قرار الحاج (موسى) بالسماح لـ (عويشة) بالالتحاق بالجامعة قُوبل برفض كبير من طرف خالها، الذي كان صورة للنسق الطاغي في منطقة تيمي؛ إذ رأى في الأمر خرقا صارخا للعادات والتقاليد «أصبح في لحظة شرسا بعد أن سمع أخي الحاج موسى وهو يتحدث عن ضرورة سفرنا بعد أسبوع بغرض التسجيل في الجامعة. خالي رمى الملعقة من يده دون أن يشعر وهو يقول: "هذي ما تكون سي الحاج". ثم راح يذكرنا بالعار الذي سيلحقنا جراء مخالفة العرف. ستنبذنا القبيلة. وسيكثر القيل والقال كلما تنقلت وعدت. أكّد خالي أنّ ما سفري إلى وهران للدراسة في الجامعة هو سابقة خطيرة» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص ص 147، 148). حاول الحاج (موسى) بحكمته ورصانته إقناع الخال، وإفهامه أنّ الوقت قد تغيّر. ولابد من تغيير الذهنيات.

لعل المؤشر الآخر للرغبة في التغيير مثّله (سي عثمان)، حين طالب (عويشة) بالانفتاح على ثقافات ومعارف أخرى «راح يحدثني على ضرورة الانفتاح على ثقافات أخرى. ومعرفة ما يُقدمه الإنسان في العالم العربي، من فن وإبداع في الشعر والموسيقى. وهو يؤكد: من قال بأنّ الموسيقى حرام؟ من قال بأنّ الشعر حرام؟... تلك الجلسة مع السي عثمان أعادت إليّ الشعور بالفرح الذي فقدته منذ علمت بمرض والدتي» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 128)، قد تكون الرغبة في التعليم، والخروج من الدائرة الضيقة للمجتمع حلم (عويشة). لكنه في الآن ذاته كان حلما تتوق لتحقيقه كل بنات تيمي. فتمكّن إحداهن من كسر هذا القيد، أمل في بداية تغيير في حياتهن جميعا.

عكف هذا العمل الأدبي على «استبطان وتكثيف جملة من القضايا النسوية، ويعالجها عبر إبراز علاقة الذات بالآخر. التي تؤول في النهاية إلى فقدان موضوع القيمة المستهدف من قبلها، والمتمثل في امتلاك الحرية والانفصال عن الآخر المتسلط. كنوع من رفض ممارسته الموجهة ضدّها، والمتمثلة في محاولة تحويلها من كينونتها، وسلبها ذاتها، وطمس هويتها. وهي بذلك تتجلى ضحية للآخر بعموميته (المجتمع)، وضحية للذات نفسها، بعدم قدرتها على تجاوز المعيقات

وتحقيق عامل الانفصال عن الآخر» (واصل، 2013، ص 134). حاولت الكاتبة أن تكون لسان حال هذه المرآة، التي وقعت بين مطرقة تسلط الآخر/الذكر، وسندان أنساق متشابكة كثيرها ظالم في منطقة مغلقة كانت الزوايا إحدى صورها.

7- لون البشرة وجه آخر للتشظي:

سعت الكاتبة عبر فصول مختلفة من الرواية على الربط بين لون الحناء ولون البشرة. معانٍ عكستها بطلة روايتها/عويشة، التي لم تثنها نظرة الآخر إليها عن تحقيق ذاتها. مضت صوب حلمها، متبنية فلسفة خاصة، وهو ما ركزت عليها (جميلة طلباوي) في هذا العمل. فـ «وسط كم هائل من الأعراف والأيديولوجيات التي لا تعترف بهوية الذّات المهمشة. لذا فإنّ هذه الذات تبدأ بحركة التمرّد على منظومة النسق الجمعي، بتقمص مبادئه وأفكاره في الحياة ... لإقامة النسق الاستعلائي. هذا النسق الاستعلائي للذات هو الذي يجعلها قادرة على نفي النقص والغياب» (عليمات، 2004، ص 79). دخول (عويشة) الجامعة كان وجها آخر للتحدي؛ إذ كانت أوّل امرأة من تيمي تلتحق بالجامعة وتتعلم فيها. تمكنت (عويشة) أن تلفت الأنظار إليها بفضل ذكائها وتفوقها. لم يكن التميّز وحده سرّ إعجاب كثيرين بها، بل أيضا سمرة بشرتها، اختلاف لهجتها عن اللهجة الوهرانية. بيد أنّه «ومثلما الحناء قد تكون غير محببة لبعض الأشخاص فينفرون منها، كان لوني غير محبب لبعض الزملاء في الجامعة. وحتى أنّ بعض المارة في الشارع، منهم من كان يستفزه لوني فيسخر مني وينادني أحيانا (النقريطة). في بداية الأمر كانت العبارة تزعجني، فأصرخ وأنتفض، وأدخل في معارك مع أولئك العنصريين، لكن مع مرور الوقت وجدتني أتصالح مع الكلمة. فهي في النهاية تعني الزنجية، ولي أن أفخر بلوني» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 17). لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تدرك فيها (عويشة) اختلافها عن غيرها. فقد لمست الأمر من قبل في قصر سيدي الشيخ، باختلافها عن الحفيدات فيه. كانت أشبه بخادمات القصر، اللاتي يقتصر دورن على خدمة الزاوية وسيدي الشيخ، حتى وإن عاملتهن **(لالة حليمة)** معاملة طيبة.

النظرة العنصرية ومرارة الاختلاف عبّر عنهما كلام الخادمة **(فانة)** وهي تنصحها بالزواج من (السي عثمان)، الذي كان يبحث عن امرأة تنجب له ولدا يحفظ نسلهم الشريف «ضغطت يومها على ذراعي وهي تذكرني بأنّ ما يهم السي عثمان حاليا هو الوعاء الذي ينجب له الذّكر، ويضمن استمرارية اسم العائلة. ذكّرتني بأنّ زواج الشريف من الأمة يجعلها تحصل على نفس حقوق السيدة إذا ما أنجبت له الولد. العبارة يومها أغضبتني، فصرخت في وجهها: "أنا حرة بنت حرة"» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 74). كلام (فانة) لامس عمق نفس عويشة وأشعرها بالمهانة، وإن بطريقة لا شعورية. فقد «استحضرت حادثة زواج أحد أقارب السي عثمان من امرأة سمراء. القبيلة يومها كلها ثارت ضده، واتهمته بجريرة عدم الحفاظ على نقاء عرقهم الشريف. لكن هدأت النفوس فيما بعد، حين أدرك الجميع غايته من الزواج بتلك الشابة السمراء، في سن بناته؛ كي تهتم به بعد وفاة زوجته وتقدمه في العمر» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص ص 74، 75). إذا كانت هذه الشابة/السمراء قد رضيت أن تكون ممرضة تسند شيخا باسم الزواج، تحت ضغط الأنساق الاجتماعية، وإجبار الأهل، فإنّ (عويشة) قد رفضت أن تكون وعاء للإنجاب للسي (عثمان) "فقد تجلت في حالة الكينونة في الزمن الحاضر وهو زمن القطيعة المعرفية أو التضاد النسقي بين النسق المؤنث/الجمعي والنسق الفحولي المذكر/الشاعر. وهذا الزمن الحالي هو في حد ذاته نقد مبطن/داخلي... تكشف لغته عن طبيعة التحوّل الذي أصاب عالم المثل التي كانت في حيزية النسق الجمعي»

(عليمات، 2004، ص ص 65، 66). أدركت (عويشة) قساوة أن يُنظر إليك كأداة يتوسلها الآخرون لتحقيق مآربهم. لأنّها تحلم بمن يكمّلها، ويكون سندا لها. وأن تكون سيدة بنجاحها وتميّزها.

المعاناة ذاتها يشترك فيها (محمد) مع (عويشة) فيما يتعلق بمسألة لون البشرة. فكثيرا ما كان يسمعهم ينادونه **(النيقرو)** تأذّى أوّل الأمر، لكن أدرك بعدها أنّه قدم إلى وهران لأجل تحقيق حلمه في الدراسة والنجاح «حتى محمد لم يسلم من عنصرية بعض الزميلات وهنّ يلحظن الانسجام الكبير بيننا. أذكر كيف أنّ إحداهنّ انفجرت ضاحكة وهي تسألني عن سبب إعجابي بـ (نيقرو) هكذا وصفته يومها. فكان ردي ساخرا، إذ قلت لها: «نقريطة يليق بها نيقرو مثلها» محمد عانى كثيرا هو أيضا من كلمة "نيقرو" وكثيرا ما دخل في اشتباكات بالركلات واللكمات مع زملاء عنصريين. لكنّه تعوّد هو الآخر على هذا الوضع، وأصبح لا يبالي. كلّ ما كان يهمنا هو النجاح في الدراسة، والعودة إلى مدينتنا تيمي» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 17). آثر (محمد) الترفع عن الرّد، والتركيز على أولوية الدراسة. فسواد اللّون لا يمحو نقاء السريرة، وصفاء القلب.

8- رحلة عويشة مع الفرح:

وجدت (عويشة) في محمد/ابن تيمي، ما يعوّض شوقها لمدينتها، شوق غذته الأيام، بما صار يشعر به كلّ واحد منهما اتجاه الآخر من ارتياح وإعجاب؛ فإنّ «إعجاب ابن مدينتي محمد ولد الحاج العربي بي كان له وقع خاص في نفسي. وكان نبض الفرح في غربتي. كان على مشارف التخرّج. وكنت أنا لا أزال أدرس في السنة الأولى جامعي. حاصرني بشيء ما، كتمتْ سرّ نظراته هيأته، ثقافته الواسعة، تفتحه وتشجيعه لعمل المرأة. كلّها أشياء جعلتني مشدودة جدا إليه. كنت أقضي وقتا طويلا في الحديث معه، كلّما سنحت الفرص بذلك. معه اكتشفت البيتزا، كنت آكلها وأقول: «الرقاق انتاعنا أحسن منها» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 152). أسهمت الملامح المميزة لكل طرف في تعلقهما ببعضهما.

وجدت (عويشة) في (محمد) الراحة والأمان في غربتها. كما لمست فيه الرجولة التي كانت تنشدها. فكثيرا ما ساندها ووقف إلى جانبها. سمحت أفكاره حول المرأة وعملها بإدخال الطمأنينة إلى قلبها. تقول: «تحدثنا عن التحاقنا بسلك التعليم، وعن عملي. ضحك وهو يقول لي: بأنّني أوّل فتاة في تيمي تسافر خارج المدينة لتدرس في الجامعة. وأوّل امرأة تيماوية تخرج للعمل. ضحكنا من الفكرة. ثم أردف قائلا: بأنّه لا مانع لديه أن أمارس وظيفتي كما كنت قبل الزواج. بل وعدني بأن يكون لي سندا في هذه القصة. فأهله لن يوافقوا بسهولة. ففي النهاية العرف هو الذي يحكمنا ويحدد مصائرنا. الفكرة أسعدتني كثيرا» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 172). استطاع محمد التعبير عن النّسق السائد في منطقة تيمي، وربما في غيرها من المناطق أيضا، لقد عرف أن التّحدي الذي ينتظره كبير، فلخص الوضع قائلا: **العرف هو الذي يتحكم**.

تمكنت الخادمة **(فانة)** من رأب التصدّع الذي عرفته علاقة (محمد) بـ (عويشة). والفراق الذي تسبب فيه موقف هذه الأخيرة من العودة إلى تيمي، بعد أن صار الموت يهدد حياة الجميع. تمكّنت من إعادة المياه إلى مجاريها، من خلال اللقاء الذي رتبت له. «استطاع محمد بذكائه أن يلتقط ارتباكي. فحاول بث الارتياح في قلبي، وهو يؤكد لي بأنّه لم يشأ إحراجي. ولم يشأ زيارتي في المؤسسة التعليمية التي أعمل فيها، كي لا يزعجني. رغم أنّه يعمل مدرسا في الثانوية القريبة منها» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 172)، سعادة (عويشة) كانت كبيرة، زاد منها حضور جدتها وأخوالها الثلاث لخطبتها من

محمد. حينها قالت (عويشة): «أدركت حينها بأنّ للأرواح رائحة أيضا، كثيرا ما تعبق من أناس أحبّوهم وكانوا جزء منهم. بكيت ليلتها في حضن جدتي. بكيت وكلي شوق للتطلّع إلى في وجه والدتي الراحلة (لالة مريم). كم تمنيت لو كانت حاضرة معي. وأنا أعيش فرحة العمر» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 174). يأبى الفرح إلا أن يبقى مسكونا بالألم والحزن. بسبب فراق من أحببناهم.

إنّ المغالبة بين الفرح والحزن في الذّات البشرية قديمة. بيد أنّ إرادة الفرح والسعادة أخذت تنتصر ويكون لها الغلبة في قلب (عويشة). تزامنت زيارة هذه الأخيرة لقصر سيدي الشيخ بعد زواجها من محمد بازدياد مولودة للسي عثمان. كان مقدمها فرحة غامرة للجميع. تغيّرت على إثرها أشياء كثيرة في القصر «وأخيرا وبعد انتظار طويل حقق السي عثمان حلمه في الأبوّة، وصار أبا. فرحة سيدي الشيخ كانت كبيرة. أقيمت الولائم في القصر، وظل تلاميذ الزاوية يرتلون القرآن بطلب من الشيخ؛ حمدا لله الذي استجاب لدعائه، ولم يحرم ابنه الوحيد من الدرية» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص ص 175، 176).

تمكُّن (محمد) من زرع الأمان في قلب عويشة أعاد التوازن النفسي لحياتها، فغدت نظرتها للحياة أكثر تفاؤلا. تقول: «تعلمت من منه بأن تكون ورقة حناء ليس شرطا أن تكون أنثى. في مدينتي تيمي نحن أوراق حنّاء تسحقنا الأحداث المتوالية. ونخلط بماء الصفاء والمحبّة لنزيّن هذا العالم بالطيبة. لدرجة أنّنا عندما نسافر خارج المدينة إلى ولاية أخرى، خاص في الشمال، يقولون عنّا أننا "نية" بمعنى أنّنا طيبون» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 178). كان تحدي (عويشة) وتمردها على بعض الأنساق الاجتماعية السائدة في منطقة تيمي، لبنة لأحلام جديدة في طريقها للتحقق، ولأنساق وقيود أخرى لتُكسر.

صارت (عويشة) مثالا يُحتذى في أعين بنات جنسها «أذكر بأنّ البنات كنّ يتطلعن إليّ وأنا أتأبط ذراع محمد ونحن نمضي في الشارع ممتلئين ببعضنا. كلّ واحدة من البنات أصبحت تحمل أمنية أن تكون مثل عويشة "وريقة حنّا"» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 178).

كاد خوف (عويشة) من الأنساق الاجتماعية البالية/المسيطرة في تحيزها للذُّكورة أن يبدد فرحتها، ويُخيّم على سماء سعادتها بابنتها الجميلة. لولا أن رأت ملامح السعادة في عيني (محمد) وأهله «ولو أنّ شيئا من الخوف تسرّب إلى قلبي، حول ردة فعل محمد حين يعرف بأنّ المولود أنثى. لكنّ محمد وكلّ أفراد أسرته فرحوا بصغيرتي. تلك القطعة من روحي» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 179)، فمن مفارقات القدر، ومن المصادفات العجيبة، أن تحمل مولودة (عويشة) اسم **حليمة** (على اسم زوجة سيدي الشيخ). فيما حملت مولودة السي عثمان اسم **مريم** (على اسم والدة عويشة). وكأنّ القدر يريد استرضاء الامرأتين، بجعل عطائهما يستمر. فيكفّر الزمان على ما ألحقه بهما من عذابات في حياتهما.

فرحة (عويشة) لم تطل كثيرا؛ فقد استكثرها الدّهر، مقررا كسرها من جديد. فـ «الموت الذي هرب منه محمد في حاجز مزيف في الطريق إلى وهران، لقيه في تيمي. وهو يسرع الخطى من المستشفى إلى البيت ليجلب لي أغراضا، ممتلئا سعادة. كان يسارع الخطى إلى البيت مبتهجا أن صار أبا... لكنّه اصطدم بسيارة أردته قتيلا. يومها أحسست بأنّ روحي سُحقت. ولولا ابنتي حليمة لما كان لحياتي معنى بعد رحيله» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص ص 179، 180). مشوار

(عويشة) في هذه الحياة كان طويلا. إلا أنّها استطاعت أن تجعل من ابنتها (حليمة) طبيبة. وأن تزوجها لكن خارج تيمي، لتكون هي أيضا ورقة حناء تصنع أفراح الآخرين.

تمكنت (عويشة) ومثيلاتها من الانتصار على أنساق قيّدت المرأة، وحدّت من حريتها. وتسببت في كسرها بأشكال مختلفة، لكنها صارت تشكو الوحدة المؤلمة، والفراغ الكبير. ليس لها أنيس سوى ذاكرة تعجّ بالذكريات. فقد اختار الموت كثيرا ممن أحبتهم، وكانوا سندا كبيرا لها في هذه الحياة: (لالة حليمة)، و(زازة)، و(فانة) اختارهم الموت تباعا «وجدتني أُسحق ورقة حناء في وحدتي، بعد أن تقدّم بي العمر» (طلباوي، واد الحناء، 2018، ص 181).

خاتمة

1- يتحكم النّسق في الممارسات والأعراف الاجتماعية؛ حيث يقوم بإقصاء وتهميش كل الخطابات المنافسة بفضل ما تمتلكه هذه الأنساق من طاقة تأثيرية.

2- عكف هذا العمل الأدبي (رواية واد الحناء) على استبطان وتكثيف جملة من القضايا النسوية، ومعالجتها عبر إبراز علاقة الذات بالآخر.

3- استطاعت (جميلة طلباوي) بيان قدرة الصحراء ذلك الفضاء المهّمش على كسر النمط السائد، ومزاحمة المركز/المدينة، عبر تسليطها الضوء على صور للجمال المخبوء فيها. وأيضا بالكشف عن عالم الزاوايا بأبعادها الصوفية، ودورها المجتمعي ببيان أثرها الفاعل في الحياة الاجتماعية والدينية لمدينة تيمي، ومكانة المرأة فيها.

4- مكّن استثمار الروائية (جميلة طلباوي) لنبتة الحناء، وربطها بلون البشرة من سبر أغوار عالم المرأة، والبحث في علاقتها بذاتها وبالآخر. والكشف عن أثر العنصرية في النظرة الدونية التي كثرا ما تسببت في تأزم الذّات وشعورها بالاختلاف.

5- كشفت رواية (واد الحناء) عن تعدد الأنساق الاجتماعية التي تجاذبت الحياة في (تيمي)، الصريحة منها والمضمرة، والتي كثيرا ما كانت ضحيتها المرأة؛ حيث أسهمت الأنساق الذكورية -في ظل العجز عن تجاوزها- في تحويل المرأة إلى قامعة لذاتها، بسبب أعراف متوارثة ومتواضع عليها كبّلتها ومنعتها من التخلص منها.

6- زادت حالة التأزّم السياسي وما فرضه من ضبابية المشهد، ضمن أحداث الرواية. في إحكام الموت لقبضته على حياة الفرد الجزائري وفي تعميق الخوف وحالة عدم الاطمئنان لديه.

7- تحكُّم العرف في رواية (واد الحناء)، وكثير من الأفكار البالية في المجتمع التِّيماوي جعل الحل الوحيد أمام الذات الأنثوية هو التمرد على القهر المسلط عليها من المجتمع/الذات الذكورية.

8- شكلت الرغبة في التعليم، والخروج من الدائرة الضيقة للمجتمع حلم (جميلة طلباوي) من خلال بطلة روايتها (عويشة). وحلما تتوق لتحقيقه كل بنات تيمي، أملا في بداية تغيير في حياتهن جميعا. فتحدي (عويشة) وتمردها على بعض الأنساق الاجتماعية السائدة في منطقة تيمي، هو انتصار على أنساق قيدت المرأة وحدّت من حريتها. وهو في الآن ذاته لبنة لأحلام جديدة في طريقها للتحقق، ولأنساق أخرى تُكسر.

لمحة حول الكاتب

جميلة طلباوي مذيعة وكاتبة جزائرية من مواليد 1969م ببشار في أقصى الجنوب الغربي الجزائري، حاصلة على شهادة مهندسة دولة في الميكانيك بناء حراري، من جامعة بشار سنة 1995م، لكنها اتجهت للعمل منشطة بالإذاعة الجزائرية محطة بشار الجهوية للإذاعة. كاتبة وأديبة وشاعرة. تميزت أعمالها بالتركيز على البيئة الصحراوية الجزائرية؛ تناولت قضايا الهوية، الذاكرة التاريخية، والعادات الصحراوية الأصيلة، وغالباً ما تدمج قضايا عربية مثل فلسطين في أعمالها.

لها عدة إصدارات منها: **شظايا** (مجموعة شعرية عام 2000)، **وردة الرمال** (رواية قصيرة عام 2003)، **شاء القدر** (رواية قصيرة عام 2006)، **أوجاع الذاكرة** (رواية قصيرة عام 2008)، **كمنجات المنعطف البارد** (مجموعة قصصية عام 2012)، **الخابية** (رواية عام 2014)، **وادي الحنّاء** (رواية عام 2017)، **قلب الإسباني** (رواية عام 2018)، وقصص أخرى (منشورات اتحاد الكتّاب العرب دمشق 2008).

نشرت العديد من الأشعار والقصص القصيرة في الصحافة الوطنية والعربية. كما حصلت على عدة جوائز في القصة القصيرة والتعليق الإذاعي. رقم حسلب أوركيد (orcid): **https://orcid.org/0009-0006-1609-2052**

المراجع

إبراهيم نهى حمدي أحمد، (2018)، "التجذر في الشعر الجاهلي بين النسق والنسق المضاد"، مجلة سياقات: 3 (1)، قسم اللغة العربية جامعة الإسكندرية.

ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم (د ت)، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت لبنان، ج 10، فصل النون.

تحريشي محمد (2007)، في الرواية والقصة والمسرح قراءة في المكونات الفنية والجمالية والسردية، ط 1، دار دحلب للنشر، الجزائر.

طلباوي جميلة، (2018)، وادي الحناء، ط 1، دار ميم للنشر، الجزائر.

عليمات يوسف، (2004)، جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموجا، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان الأردن.

الغامري محمد حسن، (2010)، المدخل الثقافي في دراسة الشخصية، د ط، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

الغدامي عبد الله، (2005)، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط 5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المملكة المغربية.

الفراهيدي الخليل بن أحمد، (د ت)، العين، تح مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، ط1، دار ومكتبة الهلال، ج 5.

الكافي إسماعيل عبد الفتاح، (د ت)، معجم مصطلحات العولمة –مصطلحات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية وإعلامية– ، دون معلومات.

كريزويل إيدت، (1993)، عصر البنيوية، تر جابر عصفور، ط1، دار سعاد الصباح، الكويت.

الموسوي محسن جاسم، (2005)، النظرية والنقد الثقافي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

واصل عصام ، (2013)، في تحليل الخطاب الشعري دراسة سيميائية، ط 1، دار التنوير، الجزائر.